الصاعقة الرابعة عشرة بعد المئة: مغاني الشِّعبِ طيباً في المغاني(*)

مغاني الشِّعب طيبًا في المغاني ... بمنزلة الربيعِ منَ الزمانِ(١)

ولكنَّ الفتى العربيَّ فيها ... غريبُ الوجهِ واليدِ واللسانِ

ملاعبُ جنةٍ لو سارَ فيها ... سليمانٌ لسارَ بترجمانِ

طبتْ فرسانَنا والخيلَ حتى ... خشيتُ وإنْ كرُمن منَ الحِران(٢)

غدوْنا تنفضُ الأغصانُ فيها ... على أعرافِها مثلَ الجُمَانِ

فسرتُ وقد حجبنَ الحرَّ عني ... وجبن منَ الضياءِ بما كَفَاني

وألقى الشرقُ منها في ثيابي ... دنانيرًا تفرُّ منَ البَنَانِ

لها ثمرٌ تشيرُ إليكَ منهُ ... بأشربةٍ وقفنَ بلا أوَانِ

وأمواهٌ تصلُّ بها حصاها ... صليلَ الحليِ في أيدي الغَوَاني

ولو كانتْ دمشقَ ثنى عناني ... لبيقُ الثُّردِ صينيَّ الجِفَانِ(٣)

يلنجوجيٌّ ما رُفعتْ لضيفٍ ... به النيرانُ نديُّ الدخانِ(٤)

تحلُّ به على قلبٍ شجاعٍ ... وترحلُ منهُ عن قلبٍ جبانِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح عضد الدولة ويذكر في طريقه إليه شعب بوان.

(١) المغاني: البيوت. الشَّعب: الطريق بين جبلين.

(٢) الحران: التعاصي عن الانقياد.

(٣) اللبيق: الحاذق. الثرد: فت الخبز وبله بمرق.

(٤) يلنجوجي: من اليلنجوج: العود الذي يتبخر به.

منازلُ لم يزلْ منها خَيَالٌ ... يشيِّعني إلى النوبندَجَانِ[١]

إذا غنى الحمامُ الورقُ فيها ... أجابتْه أغانيُّ القيانِ

ومن بالشعب أحوجُ منْ حمامٍ ... إذا غنَّى وناحَ إلى البَيَانِ

وقد يتقاربُ الوصفانِ جداً ... وموصوفاهما مُتباعدانِ

يقولُ بشعبِ بوانٍ حصاني: ... أعنْ هذا يسارُ إلى الطعانِ

أبوكمْ آدمُ سنَّ المعاصي ... وعلّمَكمْ مفارقةَ الجنانِ

فقلتُ: إذا رأيتُ أبا شجاعٍ ... سلوتُ عن العبادِ وذا المكانِ[٢]

فإنَّ الناسَ والدنيا طريقٌ ... إلى منْ ما له في الناس ثانِ

لقد علَّمتُ نفسي القولَ فيهم ... كتعليمِ الطرادِ بلا سنانِ

بعضدِ الدولةِ امتنعتْ وعزَّتْ ... وليس لغير ذي عضدٍ يدانِ

ولا قبضٌ على البيضِ المواضي ... ولا حطّ من السمرِ اللدانِ[٣]

دعتْه بمفزعِ الأعضاءِ منها ... ليومِ الحربِ بكرٌ أو عوانِ

فما يسمي كفنَّاخُسرَ مسمٍ ... ولا يكني كفناخسرَ كانِ

ولا تحصى فضائلُهُ بظنٍ ... ولا الإخبارِ عنه ولا العيانِ

أروضُ الناسِ منْ تُربٍ وخوفٍ ... وأرضُ أبي شجاعٍ منْ أمانِ[٤]

---

(١) النوبندجان: بلد بفارس.
(٢) أبا شجاع: كنية الممدوح.
(٣) اللدان: جمع لدن: اللين.
(٤) أروض: ج أرض.

تُذمّ على اللصوصِ لكلِّ تجرٍ ... ويضمنُ للصوارمِ كلَّ جانِ[١]

إذا طلبتْ ودائعُهم ثقاتٍ ... دفعْنَ إلى المحاني والرِّعانِ[٢]

فباتتْ فوقَهُنَّ بلا صحابٍ ... تصيحُ بمنْ يمرُّ: ألا تَرَاني

رقاهُ كلُّ أبيضَ مشرفيٍ ... لكلِّ أصمّ صلٍّ أفعوانِ

وما ترقَى لهاه منْ نَدَاهُ ... ولا المالُ الكريمُ من الهَوَانِ[٣]

حمى أطرافَ فارسَ شمّريٌّ ... يحضُّ على التباقي بالتفَاني[٤]

بضربٍ هاجَ أطرابَ المنايا ... سوى ضربِ المثالثِ والمثَاني[٥]

كأنَّ دمَ الجماجمِ في العناصي ... كسا البلدانَ ريشَ الحيقطانِ[٦]

فلوْ طرحتْ قلوبُ العشقِ فيها ... لما خافتْ منَ الحدقِ الحِسانِ

ولم أرَ قبلهُ شبلي هزبرٍ ... كشبليهِ ولا مهريْ رِهَانِ

أشدَّ تنازعًا لكريمِ أصلٍ ... وأشبهَ منظراً بأبٍ هِجَانِ

وأكثرَ في مجالسِهِ استماعًا ... فلانٌ دقَّ رمحًا في فُلانِ

وأولُ رأيةٍ رأيا المعَالي ... فقدْ علقا بها قبلَ الأوَانِ

---

(١) تجر: جماعة التجار.

(٢) المحاني: جمع محنية: منعطف الوادي. الرعاة: رؤوس الجبال.

(٣) اللهى: العطايا الجزيلة.

(٤) الشمري: الرجل الماضي في الأمور.

(٥) المثالث والمثاني: من أوتار العود.

(٦) العناصي: جمع عنصوة: الشعر في نواحي الرأس. الحيقطان: ذكر الدراج.

وأولُ لفظةٍ فـهـمـا وقـالا: إغـاثةُ صـارخٍ أو فكُّ عَـانِ
وكنتَ الشمسَ تبهرُ كلَّ عينٍ فكيفَ وقدْ بدتْ معها اثنتَانِ
فعاشا عيشةَ القمرينِ يحيا بضوئهما ولا يتحاسدَانِ
ولا مَلَكا سوَى مَلْكِ الأعادي ولا ورثا سوَى منْ يَقتُلانِ
وكانَ ابنا عدوٍّ كاثراهُ له ياءَيْ حروفٍ أنيسيَانِ[1]
دعاءٌ كالثناءِ بلا رئاءٍ يؤدِّيه الجنانُ إلى الجَنَانِ[2]
فقدْ أصبحت منه في فرنْدٍ وأصبحَ منكَ في غضبٍ يَمَانِ
ولولا كونكُمْ في الناسِ كانوا هراءً كالكلامِ بلا مَعَانِ

(١) كاثراه: فاخراه.
(٢) الرئاء: الخداع.